المفارقــة بنية الاختلاف الكبرى

د. سناء هادي عباس
الجامعة المستنصرية–كلية التربية الأساسية

المفارقة لغة المباينة يقال : فارق الشيء مفارقة ، وفراقاً أي باينة[١]، فمدار المعنى اللغوي للمفارقة محصور في معنى الاقتران والتباين والاختلاف .

ومصطلح المفارقة في العربية اسم مفعول من (فرق) وجذرها الثلاثي (فرق) ومصدرها (فرق) ومدلولها المباينة والترك والمباعدة ، وهي بهذا المعنى العام لم تكن بالمشكلة الحديثة التي عنى بها الدارسون ، وإنما هي قضية قديمة ، بدأ الاهتمام بها منذ عهد سقراط وافلاطون وارسطو ، وربما قبل ذلك .

ويبرز مفهوم المفارقة في فلسفة (التغير) الذي يبلغ حد التناقض لدى الفيلسوف هيرقليطس الذي عاش قبل الميلاد بنحو خمسة قرون ، اذ يرى ان الحقيقة تكمن فقط في " توقع ما لا يتوقع " [٢] كما يرى ايضا " ان التخالف يجلب الائتلاف ، من التخالف يأتي اجمل الائتلاف " [٣] .

وكانت المفارقة (Paradox) تعني ، عند ارسطو الاستخدام المراوغ للغة، وهي عنده شكل من اشكال البلاغة ، ويندرج تحتها المدح في صيغة الذم ، والذم في صيغة المدح [٤].

واقترنت المفارقة بما سماه (كانت) (التركيب الاعلى) وقصد به الوعي الذاتي (الترانستدتالي) وهو " الوعي بوجود " انا افكر " مقترنة بكل تجربة.. وعن طريق الوعي يعرف الانا المفكر ذاته بوصفه متصلاً وحاضراً ، فعالاً على مدى سلسلة تجاربه " [٥] اما الذات (الترانستدتالية) فهي " الذات السلبية التي لا تستطيع

---

[١] لسان العرب : مادة (فرق) .

[٢] هيراقليطس فيلسوف التغير : ١٦ .

[٣] م . ن : ٩٨ .

[٤] ينظر الخطابة : ١٧٥ .

[٥] المفارقة : ٣٤ (نبيلة ابراهيم) .

ان تحبس نفسها داخل التاريخ والواقع ، بل تتجاوزهما وتعلو فوقهما ، تاركة نفسها لعفوية الفكر ، وهي الذات المفارقة التي تخضع سلبيتها لموضوعية مزعومة " [١].

نستنتج ما سبق ان المفارقة نشأت وتطورت في اطار فلسفي ؛ اذ كانت نشأتها عند الفلاسفة في القرن السادس عشر ، وكانت تعني نمط من السلوك الذي يقود الى استعمال اللغة استعمالاً خادعاً ، وتعد نظرية (كانت) في الفلسفة الحديثة هي التي فتحت المجال للبحث عن جذور المفارقة في النقد الحديث .

يمكن القول اذن ان مصطلح المفارقة لم يرد بلفظة في الاستعمال الأدبي او النقدي قبل العصر الحديث وان المتصدي لنظرية المفارقة في الأدب الغربي يكون بازاء نظرية صعبة الولوج اذ يعسر تحديد تعريف واحد لها لعدم ثباتها اصطلاحاً ومفهوماً .

فأما المصطلح ، لدى اليونان ، فله مقابلان لغويان هما: Irony, Paradox واصل (Irony) الكلمة الاغريقية (Eironeia) التي تعني الادعاء والتصنع أي الاختفاء تحت المظهر الكاذب أو الخداع وتصوير الحقيقة بشكل معاكس [٢].

اما (Paradox) فأصله الكلمة اليونانية (Paradoxa) ، وتتألف من مقطعين البادئة (Para) وتعني المخالف او الضد ، والجذر (Doxa) وتعني الرأي ، فيكون معنى الكلمة ما يضاد الراي الشائع .

وقد ترجم (Irony) الى السخرية والمفارقة الساخرة وتعبير ساخر[٣]، وترجم (Paradox) الى المفارقة[٤] والتناقض[٥] والتناقض الظاهري[٦] والنقيضة[٧] والتظاهر[٨].

ولم يكن التنوع والاختلاف في ترجمات المصطلحين فحسب ، بل طال مفهومهما ايضاً وقد خلص ميويك الى ان اول استعمال ادبي لكلمة المفارقة كان نهاية القرن الثامن عشر ، وبعد ان كان مفهومها يقتصر على نوع واحد من انواع المفارقة اللفظية ولا يتعدى الاشارة الى ان المفارقة في الاساس " تباين بين الحقيقة

---

[١] المفارقة : ٣٤ .(نبيلة ابراهيم).

[٢] Dictionary of literary terms. (Irony)

[٣] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : ٧ والمعجم الأدبي : ١٣٨ .

[٤] اضاءة النص : ١٨٢ والمفارقة في شعر الرواد : ٢٧-٣٠ .

[٥] المعجم الأدبي : ٢٥٨ .

[٦] البنيوية وعلم الاشارة : ١٤٢ .

[٧] الصورة والبناء الشعري : ٢٠٥ .

[٨] المفارقة : ٧ (ميويك) .

والمظهر" او " قول المرء نقيض ما يعنيه " او " ان تقول شيئاً وتقصد غيره " او " ان تمدح لكي تذم، وتذم لكي تمدح " [١]، نقرأ في المعجمات الأدبية ان (Irony) المصطلح الاسبق في الظهور الى الحياة الأدبية وقد ترجم هنا بالسخرية " شكل تقنية من الاشكال الأدبية بحيث ان المعنى المقصود هو عكس المعنى المفهوم " [٢] تدرج استعمالها منذ نهاية هذا القرن في التطور فاكتسبت دلالات جديدة اضيفت الى دلالاتها السابقة .

ويركز المفهوم الأول على عنصر التضاد بين اللفظ والمعنى فضلاً عن تشخيصه قضية مهمة في المفارقة الساخرة هي قصد المبدع للنص المفارقة ، ويركز المفهوم الثاني على المفارقة اللفظية ايضاً ولاسيما لغتها المجازية ويشخص غايات جمالية مهمة هي الشك الذي يستثير القاريء ويحفزه .

واما مفهوم المفارقة (Paradox) فيعني : " حالة الأمور المعاكسة للتوقع"[٣] وانها "رأي غريب مفاجيء يعبر عن رغبة صاحبه في الظهور ، وذلك بمخالفة موقف الآخرين وصدمهم فيما يسلمون به " [٤] ، والمفارقة لدى فردريك شليغل : " شكل من النقيضة " [٥].

وقد خلص ميويك الى ان اول استعمال ادبي لكلمة المفارقة كان نهاية القرن الثامن عشر ثم تدرج استعمالها منذ نهاية هذا القرن في التطور فاكتسبت دلالات جديدة اضيفت الى دلالاتها السابقة .

ولما لم يستقر مصطلح المفارقة عند مفهوم واحد فلقد رأيناه يتغير بتغير الزمان والمكان امتثالا لسنة التطور ، لا بل هو متغير من باحث الى آخر ، وربما يكمن في ذلك سبب كثرة صور المفارقة وتعدد تعريفات دارسيها بتعدد اتجاهاتهم واختلاف ثقافاتهم واهتماماتهم .

---

[١] المفارقة في شعر الرواد : ٢٧ ، ٣٠ .

[٢] المفارقة وصفاتها : ٢٩ ، ٤٤ .

[3] Dictionary of literary terms : Paradox

[٤] المعجم الأدبي : ٢٥٨ – ٢٥٩ .

[٥] نظرية المفارقة : ٦٣ .

فلقد انطلق (ماكس بيريوم) في تعريف المفارقة من منطلق اسلوبي اذ يعد ضرباً من التأنق في الأسلوب وهي لديه " احداث ابلغ الثر باقل الوسائل تبذير"[١] وهو بذلك يولد مقترباً للمفارقة مع الايجاز في البلاغة العربية الذي يفضي الى تكثيف الألفاظ واتساع الدلالة .

ولا يعدو تعريف (صموئيل جونسون) للمفارقة التركيز على عنصر التضاد اذ يرى انها " طريقة من طرائق التعبير يكون المعنى فيها متناقضاً ، او مضاداً للكلمات"[٢].

وينقل ميويك مفهوماً اكثر تطوراً للمفارقة من حيث انه لا يحصر المعنى المراد بدلالة واحدة هي المعنى الخفي المراد منها ؛ لانها عرضة للتعدد بتعدد القراءات والقراء ، ومفاده ان المفارقة " قول شيء بطريقة تستثير لا تفسيراً واحداً، بل سلسلة لا تنتهي من التفسيرات المغيرة " [٣].

ويورد معجم اكسفورد تعريفاً للمفارقة ذا اتجاهات ثلاثة تركز معاً على معنى واحد لا يخرج عن المغايرة والتضاد وعدم المناسبة على انه يجاوز المفارقة اللفظية في اتجاهه الثاني ليشمل التعارض بين الحدث وتوقيت الحدث والتعريف هو ان المفارقة هي " ان يعبر المرء عن معناه بلغة توحي بما يناقض هذا المعنى او يخالفه ، ولاسيما بان يتظاهر المرء بتبني وجهة نظر الآخر ؛ اذ يستخدم لهجة تدل على المدح ، ولكن بقصد التهكم والسخرية " او ان المفارقة " هي حدوث حدث او ظرف مرغوب فيه ولكن في وقت غير مناسب البتة ، كما لو كان في حدوثه في ذلك الوقت سخرية من فكرة ملائمة الاشياء " او انها " استعمال اللغة بطريقة تحمل معنى

---

[١] المفارقة وصفاتها : ٣٦ .

[٢] نظرية المفارقة : ٥٧ نقلا عن The Alluring Problem D.J. Enrightm P. 5

[٣] المفارقة وصفاتها : ٤٣ .

باطناً موجهاً لجمهور خاص مميز ومعنى آخر ظاهراً موجهاً للأشخاص المخاطبين او المعنيين بالقول "[١] .

أقسام المفارقة : وقسم ميويك المفارقة على خمسة عشر لونا توزعت بين الشعر والنثر[٢] وانطلق في هذا التقسيم من مجموعة معايير هي :

أولاً- مجال المفارقة: هو معيار يختص بتحديد ما يتصف بالمفارقة من الفنون الأدبية مما لا يتصف بها . ويرى ميويك ان الأدب ما دام تصوريا ؛ فأن الصورة سواء أكانت (أدبية) بإيصال رسالة ام (فكرية) بالإفصاح عن قول ، فانها عند ذلك تتصف بالمفارقة ، وبناء على هذا المعيار قسمت المفارقة على نوعين أساسين :-

١- المفارقة اللفظية: هي نمط كلامي او طريقة من طرائق التعبير يكون المعنى المقصود فيها مناقضاً او مخالفاً للمعنى الظاهر[٣] .

٢- مفارقة الموقف: هي التناقض بين افعال الشخصية وما هو مرسوم لها من الخارج في لحظة معينة [٤] وقد قسمت مفارقة الموقف بدورها على خمسة انماط:-

١- مفارقة التنافر البسيط: وتسمى مفارقة كنتليان ، وهي صيغة بسيطة تتمثل في كونها حالة تحوير لدلالة اللفظ ، ويصفها جوناثان كيلر بقوله : " مفارقة كنتليان أقل الأنواع البلاغية إشكالية للباحثين رغم انها تقلب المعنى وتدحض الاكتشاف الاستنتاجي"[٥].

٢- مفارقة الاحداث[٦]: وهي مفارقة تكون فاعلة في مجال الزمن وتتسم ببناء درامي احياناً وتعني إغراق ضحية بمخاوف معينة او آمال او توقعات بحيث يتصرف على اساسها ويتخذ خطوات ليتجنب شراً او يفيد من خير منتظر، لكن افعاله لا تؤدي إلا الى حصره في سلسلة من الأسباب تؤدي الى سقوطه المحتوم[١].

---

[١] نظرية المفارقة : ٥٧ .

[٢] المفارقة في القص العربي المعاصر : ١١٤ .

[3] Princeton Encyclopedia of Poetry and Poeties Princeton University Press , Enlonged ed. 1974(Irony) .

[4] Dictionary of Literary Terms . J A Cuddon . P 183 .

[5] Jonthan Culler; onpuns, The Foundation of Letters ,Oxford . Basil Black Well , 1988.p. 21.

[٦] المفارقة وصفاتها : ٧٩ .

[1] Princeton Encyclopedia of Poetry and Poetics … (Irony) .

٣- المفارقة الدرامية: وتسمى مفارقة سوفوكليس وقد حاول كونوب ثروول لها تعريفاً فيرى اننا نسمى المفارقة درامية عندما نرى شخصية ما تتصرف بطريقة تتصف بالجهل بحقيقة ما يدور حولها من امور ، وخاصة عندما تكون هذه الأمور بالصورة التي تراها بها الشخصية مناقضة تماماً لوضعها الحقيقي [٢] .

٤- مفارقة خداع النفس: وهي ان يحس المرء المفارقة على حساب نفسه[٣] ، وتميل دائماً الى تفضيل النكتة [٤] ، فهي آلية توليد المعنى الفكاهي ، وتكون الغفلة صفة تلتصق بالشخص القائم بالفكاهة .

٥- مفارقة الورطة: هي مفارقة موقف ، تصاحبها النظرة من عل الى اعمال البشر لتبعث على الضحك والابتسام ، ففي الوقت الذي يميل فيه المراقب ذو المفارقة الى تصعيد شعوره بالحرية والانفلات واستنباط مزاج من القناعة والهدوء، يبدو الضحية مقيداً ومتورطاً تتقاذفه العواطف والمضايقات والتعاسة [٥].

وعقد ميويك موازنة بين المفارقة اللفظية ومفارقة الموقف مفادها ان اللفظية متعمدة يصنعها صاحب المفارقة ، وتثير اسئلة في باب البلاغة والأسلوب ووسائل الهجاء وينظر اليها من وجهة نظر صاحبها ، في حين ان مفارقة الموقف تؤديها شخصيات غير واعية ، وتتولد من كشف حقيقة تكمن وراء المظهر وتميل الى اثارة مسائل فكرية وتاريخية ، وينظر اليها من وجهة المراقب المتصف بالمفارقة ، فهو الوحيد القادر على ان يمنح الحقيقة المكتشفة معنى ، وغالباً ما

---

[٢] المفارقة : ٢٢ (ميويك) .

[٣] سيكولوجية الفكاهة والضحك : ٢٠٤ .

[٤] المفارقة وصفاتها : ٥٩ .

[٥] م . ن : ٦٢ .

تميل الى الكوميديا والمأساوية والفلسفية [١].

ثانياً- درجة المفارقة: هذا المعيار يهتم برقي المفارقة من البساطة الى التعقيد، ويرى نوكس انه معيار يتجه نحو الضحية ؛ إذ يتراوح بين درجة عالية من التحرر الى درجة عالية من التعاطف والتمثل ، وقسمت المفارقة من ناحية درجاتها على اقسام ثلاثة :

١- المفارقة الصريحة: هي تعبير عن معنى مناقض للمعنى المصرح به ، وعرفه هاري شو قائلاً : " شكل بلاغي من الكلام يكون فيه المعنى الحرفي لكلمة معينة او تصريح معين مضاد لذلك المعنى المقصود ، وفي الأدب تعد المفارقة تقنية للاشارة الى موقف مضاد لما يصرح به في ارض الواقع " [٢].

٢- المفارقة الخفية: عرف بها كل من (كارل بيكسون) و (آرثر كانز) وهي تمثل تناقضاً بين التوقع وتحققه ، او بين مظهر حالة من الحالات والواقع الذي يكمن فيه ، فمهما كان تكنيك الكاتب فأنها تطالب القاريء بان يدرك المعنى الخفي الذي يكمن ما وراء تعبيره السطحي[٣].

٣- المفارقة الخاصة: عرفها شيشرون ولخصها الناقد فينلي بأنها نوع من المفارقة اكثر تعقيداً ، يتم فيه توظيف المفارقة توظيفاً فعلياً ؛ ذلك انها تضع تحت المجهر الاوجه القصدية المتعددة للباث وترفض تقليص المفارقة الى مجرد تعارض بنائي في تركيب الجملة [٤].

ثالثاً- تقسيم المفارقة من ناحية طرائقها وأساليبها: ويعنى هذا المعيار بالسلوك الذي يتعمده الأديب ووسيلته المستعملة في إيصال المعنى المتعلق بمصير الضحية، انتصارا ام اندحارا ، كما يرى نوكس [٥].

---

[١] المفارقة وصفاتها : ٤٧ ، ٧٨ ، ٨١ .

[2] Dictionary of Literary Terms , Hary Shaw , New York McGraw Hill , Inc. 1972 p. 208 .

[3] Literary Terms , A dictionary Kart Beekson and Arthar Catz . (New York Farrar and Giroux) .

[4] The Romantic Irony , Marike Finlay . p. 11 .

[٥] المفارقة وصفاتها : ٦٢ .

١- **المفارقة اللاشخصية:** هي مفارقة مجردة عن شخصية صاحب المفارقة وإنما هي مفارقة يخفف فيها القول لتنطوي على تنافر قائم على المبالغة والخيال الواسع لإيضاح الفكاهة [١] ، وأغلب المفارقة اللفظية من هذا النوع ، إذ يخفي المفارقة (اللاشخصي) نفسه وراء قناع وكلماته وحدها او تعارضها مع ما نعرف تنتج المفارقة [٢].

٢- **مفارقة الإستخفاف بالذات:** وتسمى المفارقة السقراطية ايضاً ، إذ أطلق الكلمة على سقراط احد الذين كان يهاجمهم وتفيد نوعاً من الأسلوب الناعم الهاديء الذي يستخف بالناس[٣].

٣- **المفارقة الممسرحة:** تتصل المفارقة هنا أساساً بالمسرح لتوفره اولا على ثلاثة عناصر: الراوي والممثلون والجمهور، والمعرفة المتبادلة بين " الراوي والجمهور تضع الممثلين في موقف المفارقة ، ويضع الكشف التدريجي لحقيقة الأحداث السابقة الممثلين والمشاهدين في المستوى نفسه من المفارقة لجهلهم بالأحداث الماضية"[٤].

وتتضمن الحبكة – وهي عنصر من عناصر المسرح – مفارقة لانها تعتمد اساساً على " نوع من التناقض التضادي بين المظهر والواقع ، بين نية الشخصية وما تقوم به او بين توقعها وما يحدث في حقيقة الحال"[٥].

٤- **المفارقة الساذجة:** اذا كان صاحب المفارقة في مفارقة الاستخفاف بالذات يتصنع الجهل ، فانه في المفارقة الساذجة يتخلى عن مكانه لساذج ليجعل الضحايا في متناول يده ، ويبقى البديل لا يعي حقيقة ما يحدث [٦] ، وتسمى مفارقة الفجاجة ايضاً .

---

[١] سيكولوجية الفكاهة والضحك : ٢٠٣ – ٢٠٤ .

[٢] المفارقة : ٩٠ (ميويك) .

[٣] المفارقة وصفاتها : ٢٧ .

[4] Irony in The Medieval Romance , D.ll. Green London : Cambridge Uni. Press. 1979. P.11.

[5] An Introduction Winston Inc , 1965 . p 35 .

[٦] المفارقة : ٥٩ (ميويك) .

رابعاً- يقسم هذا المعيار المفارقات على وفق موضوعها وهي كالاتي:

١- المفارقة المأساوية: ظهرت هذه المفارقة مع ارسطو وتسمى ايضاً (مفارقة التراجيديا). ويمكن فهمها من خلال تعريفه المأساة بوصفها " محاكاة لفعل ذي أهمية كبرى. وهذا الفعل يتعزز في اللغة بالتزينات المتميزة والمتنوعة.. وعن طريق الشفقة والخوف يؤثر في التطهير.. والوسيلة الرئيسة التي تحركنا بها التراجيديا مفارقة الاحداث والاظهار والكشف"[١].

وتتمظهر المفارقة المأساوية في هذا التعريف من خلال المحاكاة وهي فعل المأساة الذي يمثل المظهر لا الحقيقة ، والتعارض بين الاثنين هو الذي يولد المفارقة ، مفارقة الايهام بالواقع ، كذلك التزينات المجازية ، التي تمثل الخصوصيات الشكلية للخطاب اللغوي ، كالسجع ، والنغمة ، والايحاء ، وهي بدورها تنتج الصيغ التناقضية من خلال التنويعات الشكلية المعكوسة على صعيد الخطاب ، ثم التطهير ايضاً ، منفذاً لتسريب مشاعر الخوف والشفقة التي يثيرها فعل المأساة ، وهي التي توصلنا الى الرضا الجمالي ، حالما يتم التخلص من هذه المشاعر[٢]. ويلخص هنري ميرز مفارقة التراجيديا بقوله : " التراجيديا منظر من مناظر الشر، والشر هو بعينه ما لا نستمتع به ومع ذلك فنحن نستمتع بالتراجيديا"[٣].

٢-مفارقة القدر: أطلق عليها أرسطو (انقلاب الحال) ويشير ماركو ليوث ورف. ل. لوكاش الى ان ارسطو يرى ان مفارقة القدر هي " مفارقة الدورة المتكاملة او الحركة الدائرية لعملية القدر التي تحمل اولا انساناً ما عالياً ، ومن ثم الى الاسفل "[٤].

---

[١] الخطابة : ١٧٦، ١٧٥ ، ٢٢٦ ، ٢٥٥ .

[٢] المفارقة الروائية الرواية العربية أنموذجا : ٢٠ -٢١ .

[٣] النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية : ٤١٨ - ٤١٩ .

[4]Aritdle & Poeties . L . J. Lilts : Aristutle on the Art of Ficton . London . Gembridge Unir Press 1962. P. 24 .

٣-المفارقة العدمية: عرفت مع فلسفة كيركجورد في التهكم التي يرى انها تعني "بدقة العدم" [١] وتفهم المقارنة العربية من كون الموقف العدمي يهدم الوجود الحسي ويلغي الواقع الفعلي واليقين التقريري وصولاً الى عالم الامكان ، كي يحقق غرضه الاخلاقي، فهو موقف سلبي متناهي يفترض ايجابية متناهية ، ولذا طرح كيركجورد فلسفته العدمية او التهكمية في ضمن مركبات وجودية ثنائية الحسي/الاخلاقي ، الابدي/ المؤقت، النسبي/المطلق[٢]، كما استعمل كيركجورد المفارقة للدلالة على اللامعقول[٣].

٤- المفارقة العبثية: وهي مفارقة تستمد ايحاءاتها من النظرة الوجودية الى الحياة، فالوجودية لدى سارتر في الاساس تضاد بين الصدق واليقين الفاسد "ينطوي على التظاهر امام انفسنا والآخرين بأن الأمور لا يمكن ان تكون بشكل آخر، فأننا مقيدون بأسلوب حياتنا ، اننا لا نستطيع الهرب حتى لو شئنا ذلك[٤]. فالوجودية فلسفة ترفض القيم .. وترفض المجتمع والتاريخ والعلم لانها تتصور المجتمع عبارة عن مجموعة من الأنات لا روابط بينها .. والذات الحقة هي تلك المنعزلة التي تستمد قوامها من نفسها فلا تخضع بالتالي : لاي تقويم من خارجها"[٥] .

والعبث عند كامو هو غياب التواصل بين حاجة الذهن الى التماسك وفوضى العالم التي يعانيها الذهن [٦] ومن هنا تبرز المفارقة العبثية من جهتين ، من جهة عزلة الانسان ووحدته ؛ اذ يقف وحيداً ضد الجميع في هذه الدينا ، ومن جهة التناقض العدائي بينه وبين العالم الطبيعي"[٧].

---

[١] مفهوم التهكم عند كيركجورد : ١٢ .

[٢] م . ن : ٣٣ – ٣٤ .

[٣] معجم المصطلحات العلمية والفنية : ٤٩٩ .

[٤] اللامعقول : ٣٦ .

[٥] علم الجمال في الفلسفة المعاصرة : ٢١ .

[٦] اللامعقول : ٤٧ .

[٧] مسرح اللامعقول وقضايا اخرى : ١٧٩ .

وقد استعمل كيركجورد المفارقة العبثية للدلالة على اللامعقول . واستعملها روبرت بروستاين للدلالة على صنف من اصناف التمرد الوجودي [١] ، واجترح (بريخت) مصطلح التغريب للدلالة على نوع من المفارقة العبثية [٢] .

٥- **المفارقة التشكيكية:** مفهوم ساد في القرن العشرين ، تعني المفارقة النسبية غير الملتزمة ، التي لا تقتصر على مفهومين متناقضين فحسب ، بل على سلسلة من التفسيرات والمعاني المتناقضة ، حتى اصبح تجاور المتنافرات جزءاً من بنية الوجود ، وادى الى ظهور هذا النوع من المفارقة [٣].

٦- **المفارقة الدرامية:** مر ذكرها .

٧- **مفارقة التواضع الزائف:** وتسمى مفارقة (جوناثان سويفت)، يمثل هذا النوع من المفارقة تطوراً ملحوظاً في مفهوم المفارقة ؛ إذ يعتمد على عمليات الابعاد والعقلنة في آن واحد ، ومن ثم انجاز الفعل المفارقي دون شعور القاريء بأنه ضحية [٤].

٨- **المفارقة الرومانسية:** هذا النوع مدين اساساً الى فريدريك شليكل وتتجلى اولاً في الفن ، فالجوهر الاساسي لمعنى المفارقة الرومانسية هو ان " الكاتب يخلق وهما للجمال على وجه الخصوص . وثم فجأة يدمره بتغيير النغمة ، تعليق شخص او عاطفة تناقضية عنيفة"[٥]، وتتجلى في الطبيعة ايضا ؛ اذ " تعد وسيلة لكشف ما في الحقيقة الواحدة من تناقضات في هذا العالم ومن ثم تصبح الوسيلة المناسبة لفهم هذه المتناقضات، وخلق حالة من التوازن لدى الفرد من الاستمرار في الحياة [٦] فجوهر المفارقة الرومانسية " المفاجأة ولحظة التكشف التي تبرز العالم المعتاد المألوف في ضوء جديد " [٧] .

---

[١] اللامعقول : ٥٦ .

[٢] نظرية المسرح الملحمي : ١٢٤ .

[3] Prienetonn Encyclopaedia of Poetry and Poeties . P. 408 .

[4] Prieneton Encyclopaedia of Poetry ….p . 408 .

[5] Alex Preminger , Frank. J. Wornke and O.B Hordison . Princeton . Eneyclopaedia of Poetry and Poeties , ed , London ; Macmill an press . 1979 . p. 407

[٦] المفارقة في شعر محمود درويش : ٢٣٦ .

[٧] النقد التحليلي : ٤٢ .

٩- المفارقة الفلسفية: تتمثل هذه المفارقة في تصورات الفيلسوف هيجل للوجود والعالم وتشمل :-

١- مفهوم الديالكتيك: أي ان ثمة موضوع ونقيضه او قضية ونقيضها ولكن هذين النقيضين يجدان سبيلهما الى الالتحام او الوحدة في قضية ثالثة هي مجموع القضيتين المتناقضتين .

٢- التناقض: هو اساس الوجود وركنه المكين في نظر هيجل [١].

١٠- المفارقة الكونية: (العالمية) او (الما وراء طبيعية): يرى زولجر ان المفهوم الحقيقي للمفارقة قد بدأ مع التفكير (التأمل) بمصير العالم[٢]. ويرى كيركجورد ان المفارقة بهذا المعنى " لا تتوجه ضد الوجود المحدد او ذاك بل ضد عموم الواقع من زمان وموقف بعينه... وهي لا تعني بهذه الظاهرة او تلك بل تحسب الوجود بأجمعه يقع في باب المفارقة " [٣] ويرى شليجل ان " وضع المفارقة الماوراء طبيعي الاساس عند الانسان انه كائن محدد يجتهد ان يدرك حقيقة غير محددة " [٤].

١١- المفارقة الهزلية: يشير هذا النوع من المفارقة الى السخرية خاصة ومصطلحها (Irony) التي تعني التصنع والادعاء ، أي الاختفاء تحت المظهر الكاذب او الخداع ، وتصوير الحقيقة تصويراً معاكساً [٥].

١٢- المفارقة العملية: ناقش (مونوب ثرلوال) هذا النوع من المفارقة ويرى انها مفارقة مستقلة عن جميع اشكال الكلام وانها تقع في نوعين مختلفين هما:-

أ- النوع الأول: يقوم بتعويض كلمات المفارقة بأفعال المفارقة .

ب- النوع الثاني: يشمل انماط عدة، ومختلفة منها مفارقة الموقف (الملحوظة)، ومنها الطريقة التي يقلب بها الحدث آمالنا ومخاوفنا ، والابتهاج مع مصير ماساوي هي تعادل المفارقة الدرامية ، وكبرياء الشعوب الذي يسبق السقوط، ومفارقة التناقض

---

[١] في النقد الحديث : دراسة في مذاهب نقدية حديثة واصولها الفكرية ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٣ .

[2] J . A Guddons A Dictionary of Literary Terms . p. 338 .

[٣] المفارقة : (ميويك) .

[٤] المفارقة وصفاتها : ٣٥ .

[5] Dictionary of Literary Terms . p . 208 .

بين الظاهري من بهرجة روما وانهيارها الداخلي وجدلية التاريخ ، فيما يبدو سقوطا فاجعاً لحضارة وهو في الحقيقة تطور ضروري لحضارة أخرى اكثر تقدماً [١].

١٣- المفارقة البلاغية: يطلق عليها كل من كارل بيكسون وارثر كاتز (المفارقة البيانية) وتحصل هذه المفارقة عندما يكون موقف المتكلم او الكاتب مناقضاً لذلك الموقف المصرح به حرفياً[٢] .

١٤- المفارقة السقراطية: مر ذكرها آنفاً .

١٥- المفارقة الوجدانية: يرى افلاطون ان هذا النوع من المفارقة ينجم عما تثيره المفارقة من انفعال في المتلقي و"اننا نشعر بالسعادة ونحن نحك موضع الالم بالألم"[٣]، على وفق هذه الصورة المفارقية .

١٦- المفارقة المزدوجة: يرى امبسون ان المفارقة المزدوجة تكون وجهين يختلط فيهما الجيد والرديء[٤].

ومن الجدير بالذكر ان النظرة للمفارقة قد تعمقت بتقدم الدراسات النقدية الحديثة التي اولت المتلقي اهتماماً كبيراً. فمن المعالجات النقدية الأسلوبية والالسنية والشعرية ونقد استجابة القاريء ونظرية التلقي او الاتصال وجدت المفارقة مكاناً رحباً لها تحت مسميات مختلفة ، كالمفاجأة والتوقع والانتظار الخائب او المحبط والفجوة او الفراغ والصدمة ومسافة التوتر وأفق التوقع وغيرها.

فالمفاجأة في النقد الاسلوبي وفي الشعرية ، على نحو واضح تعني ذلك "الأثر الذي يخلفه نص او عبارة من نص في وعي القاريء ، او ذلك الاستنفار

---

[١] المفارقة وصفاتها : ٣٩ ، ٤٠ .

[2] Dictionary of Literary Terms . P. 119 .

[٣] الضحك وظيفته في الحياة : ٨٢ .

[٤] المفارقة وصفاتها : ٨٤ .

الذي تثيره المنبهات في القاريء وتجعله مستنفراً "[١] ، وقد قرنت الدراسات الحديثة بين المفاجأة وعملية التلقي الأدبي والتلذذ الأدبيين ؛ اذ اصبحت وصفاً لردود فعل القاريء ازاء تلك المنبهات او المثيرات الكامنة في النص .

والمفهوم الآخر الذي أولته الدراسات النقدية الحديثة عناية فائقة هو مفهوم (التوقع Ermartnp) في الدراسات الأسلوبية ؛ اذ يعرف رفاتير الأسلوب بأنه "نسق لغوي يقطعه عنصر غير متوقع " [٢] ، وكذلك المفارقة ؛ اذ انها اشارة لكل ما هو غير متوقع وغير مألوف .

كما ورد مفهوم التوقع في الدراسات الشعرية وفي نظرية الاستقبال فقد جاء عند ياوس ضمن ما اسماه (أفق التوقعات) و(الأفق) و(أفق التوقع) و(أفق تغير الحياة) وهو لديه " نظام عقلي يسجل به الانحرافات وتقييد المعنى بحساسية مبالغ فيها"[٣]، ودرس كلويفير التوقع تحت عنوان " مبدأ كسر معيار التوقع " [٤] وهو المصطلح نفسه الذي استعاره د. كمال ابو ديب في حديثه عن الشعرية داعياً اياه "خلخلة بنية التوقعات " [٥].

وقد انتعشت المفارقة من خلال مفهومي (الانتظار المحبط) و (التوقع الخائب) عند ياكوبسن [٦] ؛ لانهما يشكلان مخالفة واضحة لتوقعات القاريء وافتراضاته وآماله .

وقد سمى ياوس تصادم أفق التوقع للقاريء مع أفق النص (بالمسافة الجمالية) وهو مفهوم مهم لاتساع مساحة المفارقة لانه يقوم على التعارض والتناقض بين ما يقدمه النص وما يتوقعه القاريء [٧].

---

[١] المتوقع واللامتوقع : دراسة في جمالية التلقي : ٤٧ .

[٢] معايير تحليل الأسلوب : ٤٨ .

[٣] نظرية الاستقبال ٧٦، ٧٧ والأصول المعرفية لنظرية التلقي : ١٢٣ .

[٤] المتوقع واللامتوقع : دراسة في جمالية التلقي : ٤٨ .

[٥] في الشعرية : ٢٦ .

[٦] قضايا الشعرية : ٨٣ .

[٧] المتوقع واللامتوقع : ٥٣ .

ويمكن ان نقول ان المفارقة تحدث هزة استقبالية حادة لدى المتلقي اثر خيبة الانتظار الذي يبوء به المتلقي بسبب محاكاة الشاعر أسلوب المفارقة في لغة الأدب، وتتحول هذه الهزة الى لغة اتصال سري بين المبدع والمتلقي مما يكون فن المفارقة .

ولم ترد لفظة المفارقة في القرآن الكريم ، ولا في مصادر البلاغة والنقد القديمة، الا ان ثمة أساليب مارسها الأسلوب العربي القديم كانت تحمل روح المفارقة وتؤدي غرضها من مثل المصطلحات الآتية :

١.**الذم في معرض المدح، عكسه**: وهو ان يقصد المتكلم هجاء انسان فياتي بالفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها المدح ، والعكس ، وهو قليل جداً ، ويعني ان يأتي المتكلم بالفاظ ظاهرها الذم وباطنها المدح [١].

٢.**التهكم**: هو الخطاب بلفظ الاجلال في موضع التحقير ، والبشارة في موضع التحذير ، والوعد في مكان الوعيد ، والعذر في موضع اللؤم ، والمدح في موضع السخرية .

٣.**تجاهل العارف**: هو اخراج ما يعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيداً[٢]، وهذا المصطلح يماثل المفارقة السقراطية ؛ إذ كان سقراط يتظاهر بالجهل مع علمه من اجل النيل من خصومه واظهار الحق .

٤.**التورية**: هو ان يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له معنيان احدهما قريب ، ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب .

٥.**العكس (عكس الظاهر)**: هو ان يؤتى بكلام يدل ظاهره على معنى ويراد به معنى آخر ويسميه ابن الأثير (نفي الشيء بإثباته)[٣].

ولقد عرف النقاد العرب المحدثون المفارقة بوصفها مصطلحاً نقدياً متأثرين بما جاء عن الغرب في ذلك عبر ترجمة الدكتور عبد الواحد لؤلؤة كتابي د.س ميويك

---

[١] البديع : ٢٥ والعمدة ٢ / ١٠ وانوار الربيع ٢ / ١٦٦ .

[٢] انوار الربيع ٢ / ١٨٥ .

[٣] المثل السائر : ٢ / ٢١٥ .

(المفارقة) و (المفارقة وصفاتها)، ولكن على الرغم من ذلك ظل تناولهم لها لا يتعدى اشارات متفرقة لا تكاد تتعدى مفهوم المفارقة اللفظية .

فترى سيزا قاسم ان المفارقة " استيراتيجية قول نقدي ساخر وهي في الواقع تعبير غير مباشر عن موقف عدواني يقوم على التورية وهي طريق لخداع الرقابة ، لانها في كثير من الاحيان تراوغها بأن تستخدم على السطح قول النظام السائد فيه ، انها تحمل في طياتها قولاً مغايراً له"[١].

ويبدو ان مفهوم سيزا قاسم للمفارقة لم يمض على نهج المفارقة اللفظية فحسب ، بل مضى على خطى مفهومها من حيث هي (Irony) سخرية فقط ، وتجاوز بل غفل عن مفهومها مفارقة (Paradox) ، واما عن حصرها في التعبير عن موقف عدواني فليس ذلك الا تضييقا للمفارقة فقد يقصد المبدع للمفارقة غايات اخرى جمالية او اخلاقية وتهذيبية وبلاغية ، وربما احست الباحثة ذلك فأستدركت قائلة : " ان مصطلح المفارقة يغطي مجموعة كبيرة من الظواهر يتسم بعضها بالتعقيد الشديد"[٢].

وهكذا كانت تعريفات كل من تصدى للمفارقة لا تتجاوز اطار المفارقة اللفظية؛ اذ يرى عبد الواحد لؤلؤة انها " صيغة بلاغية تعبر عن القصد باستخدام كلمات تحمل المعنى المضاد " [٣] وهي "أخف من السخرية لكنها ابلغ اثراً بسبب أسلوبها غير المباشر لذلك يتطلب ادراكها حساً مرهفاً"[٤].

والمفارقة عند د. عبد العزيز الاهواني: " اثارة التعجب من ظاهر بين متناقضين، ولكن احدهما لا يبطل الاخر"[٥] والاهواني يشير الى مسألة التعجب للمفارقة لانها تحدث " من دون تفسير او تعطيل " فالمفروض ان للظواهر منطقاً

---

[١] المفارقة في القص العربي المعاصر : ١٤٣ .

[٢] م . ن : ١٤٣ .

[٣] الترميز : ٩٥ .

[٤] م . ن : ٩٥ .

[٥] ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار: ١٠٩ .

وان هنالك صلة معقولة بين الاشياء ، فاذا اختل هذا المنطق وانبترت الصلة كانت المفارقة " [١].

وقد عرفها د. عبد العزيز علوش بانها : " تناقض ظاهري ، لا يلبث ان تتبين حقيقته " [٢] او " اثبات لقول يتناقض مع الرأي الشائع في موضوع ما ، بالاستناد الى اعتبر خفي على الرأي العام"[٣].

وقد حاول د. عبد الهادي خضير تعريفاً للمفارقة كما تجلت له في شعر المتنبي، فعرفها على "انها تعبير لغوي بأسلوب بليغ بهدف استثارة القارئ وتحفيز ذهنه لتجاوز المعنى الظاهري المتناقض للعبارة والوصول الى المعاني الخفية التي هي مرام الشاعر الحقيقي"[٤]، وهذا التعريف فضلاً عن دلالته على المفارقة اللفظية يتناول ركناً من اركان المفارقة وهو موقف القارئ منها؛ اذ تستثيره وتحفزه بغية الوقوف على المعنى المقصود .

واختم الكلام بالغاية التي يصار الى المفارقة من اجلها ، وهي منح المبدع التميز، والرغبة في تعزيز المتلقي ، والهجوم غير المباشر ، والتكثيف الدلالي، والسخرية الهادفة ، واداة للتوازن ، وعقد موازنة بين الأشياء والظواهر .

واذاً فالمفارقة في الأدب نجدها تطلق على الأدب الذي يزاوج بين وجهات نظر مختلفة او متعارضة لأسباب شتى ومن دون تعليق وتلك دلالاتها في النصف الأول من هذا القرن الى اليوم ففيما وصل اليه الرأي انها تتمثل في كل ما تعبر عنه نصوص الأدب من تناقضات واختلال موازين ، وخروج عما هو منطقي أو مألوف يثير المتلقي ويشد انتباهه ويحفزه على استنطاق النص للوقوف على قصد المبدع الحقيقي لنص ، فاذا " نظرنا الى المفارقة اللفظية على انها انقلاب في الدلالة يسهل اطلاق كلمة (المفارقة) على انقلابات ذهنية متجاورة اخرى.

---

[١] ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار : ١٠٩ .

[٢] معجم المصطلحات العربية المعاصرة : ١٦٢ .

[٣] م . ن : ١٦٢ .

[٤] المفارقة في شعر المتنبي : ٩١ .

أي ما يمكن ملاحظتها وبخاصة ما يأتينا منها جاهزاً في الأدب " [1].

المصـــادر

- ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار ، د. عبد العزيز الاهواني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط٢ ، ١٩٨٦ .
- الأصول المعرفية لنظرية التلقي ، ناظم عودة ، دار الشؤون للنشر والتوزيع، عمان ، مطبعة الأرز ، ط١ ، ١٩٩٧ .
- إضاءة النص ، اعتدال عثمان ، دار الخدمة ، ط١ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨ .
- انوار الربيع في انواع البديع ، ابن معصوم المدني ، ت ١١٢٠ ، تحـ شاكر هادي شكر ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٩٩٦ .
- البديع ، ابن المعتز ، ترجمة تراتشقوفسكي ، منشورات دار الحكمة ، دمشق ، (ب . ت) .
- البنيوية وعلم الاشارة ، ترنس هوكز ، ترجمة مجيد الماشطة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٦ .
- الترميز ، جون ماكوين ، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة ، دار المأمون ، بغداد ، ١٩٩٠ .
- الخطابة ، ارسطو ، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي ، دار الشؤون الثقافية العامة، ط٢ ، بغداد ، ١٩٨٦ .
- سيكولوجية الفكاهة والضحك ، د. زكريا ابراهيم ، الناشر مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة .
- الصورة والبناء الشعري ، د. محمد حسن عبد الله ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .
- الضحك ووظيفته في الحياة ، د. الحكيم راضي عباس التكريتي ، مكتبة دار إحياء التراث العربي ، بغداد ، ١٩٨٥ .
- علم الجمال في الفلسفة المعاصرة ، مجاهد عبد المنعم مجاهد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٦ .
- العمدة ، ابن رشيق القيرواني ، تحـ محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٢ .
- في الشعرية ، كمال ابو ديب ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، لبنان،١٩٨٧ .

[1] المفارقة وصفاتها : ٢٣ .

- قضايا الشعرية ، رومان ياكوبسن ، تحـ: محمد الولي و مبارك حنون ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨٨ .
- في النقد الحديث دراسة في مذاهب نقدية حديثة واصولها الفكرية ، د. نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى ، جمعية عمان ، ط١ ، عمان ، ١٩٧٩ .
- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، ط٢ ، بيروت ، (ب. ت) .
- اللامعقول ، ارنولدب هنجلن ، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة ، دار الرشيد للنشر ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٩٧ .
- المتوقع واللامتوقع دراسة في جمالية التلقي ، مجلة ابحاث اليرموك ، مجـ ١٥ ، ع٢ ، ١٩٩٧ .
- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، ابن الأثير ، تحـ احمد الحوفي وبدوي طبانة ، ط٣ ، دار الرفاعي ، الرياض ، ١٩٨٣ .
- معايير تحليل السلوب ، ميكائيل ريفاتير ، ترجمة د. حميد الحمداني ، منشورات دراسات سيمائية (دراسات سال) ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٣ .
- المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، ط١ ، بيروت .
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة ، وكامل المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٩ .
-المفارقة ، نبيلة ابراهيم ، مجلة فصول ، مجـ ٧ ، ع٣ – ٤ ، ١٩٨٧ .
-المفارقة ، ميويك ، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ١٩٨٢ .
-المفارقة الروائية العربية انموذجاً ، رسالة دكتوراه ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠١ .
-المفارقة في شعر الرواد ، قيس حمزة فالح ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٤ .
-المفارقة في الشعر العربي المهجري الشمالي ، الهام مكي عبد الكريم ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة بغداد ، ٢٠٠١ .
-المفارقة في شعر المتنبي ، د. عبد الهادي خضير نيسان ، مجلة كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ع١١ ، سنة ٣ ، ٢٠٠٠ .
-المفارقة في شعر محمود درويش ، خالد سليمان ، مجلة ابحاث اليرموك ، الأردن ، مجـ ١٣ ، ع٢ ، ١٩٩٥ .

-المفارقة في القص العربي المعاصر ، سيزا قاسم ، مجلة فصول ، مجـ ٢ ، ع٢ ، ١٩٨٢ .
-مفهوم التهكم عند كيركجورد ، د. امام عبد الفتاح امام ، حوليات كلية الآداب ، جامعة كلية الآداب ، رسالة (١٩) ، حولية (٤) ، ١٩٨٣ .
-المفارقة وصفاتها ، ميويك ، د. عبد الواحد لؤلؤة ، دار المأمون للطباعة والنشر ، بغداد ، موسوعة المصطلح النقدي (١٣) .
-نظرية الاستقبال مقدمة نقدية ، روبرت سي هول ، ترجمة رعد عبد الجليل ، دار الحوار ، ط١ ، سوريا ، ١٩٩٢ .
-نظرية المسرح الملحمي ، بريولد بريخت ، ترجمة د. جميل نصيف ، عالم المعرفة ، بيروت .
-نظرية المفارقة ، خالد سليمان ، مجلة أبحاث اليرموك ، مجـ (٩) ، ع(٢)، الأردن ، ١٩٩١ .
-النقد التحليلي ، محمد محمد عناني ، مكتبة الانجلو المصرية ، ب. ت .
-النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية ، جيروم ستولنتيز ، ترجمة د. فؤاد زكريا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت .
-هيرقليطس فيلسوف التغير واثره في الفكر الفلسفي ، تأليف د. علي سامي النشار ود. محمد علي و د. عبده الراجحي ، دار المعارف ، ط١ ، مصر ، ١٩٦٩,
1.Alex Preminger, Frank J. Wornk and O.B Hardison: Princeton Encyclopedia of Poetry and Poetics , ed (London: Macmillan Press 1997).
2.An Introduction to Fiction : Iliow to Read Fiction, (New York: Holt, Rinehart , and Winston Inc , 1965) .
3. Aritit les Poeties Trons L.J. polts Aristotle on The Art of Fiction. (London : Gwmbridge Univ . Press , 196. 2) .
4.Dictionary of Literary Terms . J. A Guddon .
5. Dictionary of Literary Terms. Karl Beckso and Arthur Canz. (New York : Farrar And Giroux).
6.Dictionaay of Literary Terms. Hary Shaw, New York, McGraw Hill, 1972 .
7.Irony in The Medieval Romance, D.II.Geen, (Lindon: Cambridge Uni. Press . 1979) .
8.Jonathan Culler : On puns , The Foundatio of Letters, (Oxford: Basil Black Well , 1988) .
9.rinctomn Encyclopedia of Poetry of Poetics , Princeton University Press, England ed . 1974 .